

الإتجاه الموضوعي في شعر الكتّاب في القرن الرابع الصايء نموذجاً

عبد الغني ايرواني زاده^١، حسين كياني^٢

تاريخ الوصول: ١٤٢٧/٣/٢٤

تاريخ القبول: ١٤٢٧/٩/٢

إنّ شعر الكتّاب في القرن الرابع وإن تميّز بمميزات وسمات من شعر هذا القرن فإنّه بما فيه من قيم العصر الفنية السائدة في شعر هذا القرن صار جزءاً من نسيجه. إلا أنّ الشهرة الكتابية لهؤلاء الشعراء ذهبت بشهرتهم في ميدان الشعر وجعلتهم من الشعراء الثانويين و المهملين المغمورين. هذه المقالة دراسة لظاهرة أدبية عرفها العصر العباسي وهي ظاهرة شعر الكتّاب الشعراء، مثقفي العصر الذين جمعوا بين فني القول: الشعر والنثر؛ وسنحاول فيها معالجة شعرهم مبيّنين موضوعاته خلال دراسة شعر الصايء و هو علم من أعلام الكتّاب الشعراء في هذا العصر.

الكلمات الأساسية: الشعر، الكتّاب، القرن الرابع، الصايء.

١. عضو الهيئة التدريسية، قسم اللغة العربية، بجامعة إصفهان

٢. طالب بمرحلة الدكتوراه

«شعر الكتاب» مصطلح أدبي نقدي، أطلقه نقاد الأدب ومؤرخوه القدامى على شعر فئة من أدباء العصر العباسي كانت قد جمعت بين الكتابة والشعر سواء أكان هؤلاء الكتاب قد تصرفوا في أعمال السلطان، و دواوين الخلافة، أم احترفوا الكتابة خارج الدواوين لبعض الخلفاء و ولاة العهود والأمراء ووجوه الناس في خاصّ أمورهم، أم كانوا قد اصطنعوها خارج هذين المضمارين، في كتابة الرسائل الإخوانية والأدبية والفكرية، أو في التصنيف و التأليف (العلاق، ١٩٧٥: ٤٩).

لم تقتصر هذه الظاهرة على العصر العباسي، بل كانت موجودة قبله، لقد عرف العصر الجاهلي عدداً من الكتاب الشعراء، فعديّ بن زيد العبادي كان من بين عدد من كتاب أهل الحيرة، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى (الإصفيهاني، ٢٠٠٠: ٢: ٧٢). ومنهم زيد بن عدي، ولقيط بن يعمر الأيادي والمرقش الأكبر... (كردعلي، ١٩٤٨: ١٠) ونجد أيضاً مثل هذه الفئة في العصر الإسلامي والأموي، ولكن عدم شيوع هذه الظاهرة في تلك العصور، و إطرادها في العصر العباسي خاصة القرن الرابع لفت إنتباه النقاد والمؤرخين إليها.

وقد التفت المصنفون في بداية القرن الرابع الى هذه الظاهرة الأدبية وتناولوها في مصنفات كالجهمشيارى (ت ٣٣١ هـ) في كتابه «الوزراء و الكتاب» والصولي (ت ٣٣٥ هـ) في كتابيه «أدب الكتاب» و «الأوراق»، حيث تناول في هذين المصنفين عدداً من الكتاب الشعراء ونماذج من أشعارهم. قد خصّ ابن حاجب النعمان (ت ٣٥١ هـ) الكتاب الشعراء بمؤلفه المعروف «أشعار الكتاب»، لعل هذه التسمية قد مهّدت لإبن الندم (ت ٣٨٥ هـ) أن يستخدم مصطلح «الشعراء الكتاب» بثقة وهو يؤرخ لهذه الفئة التي أصبحت ذات خصائص متميزة من الكتاب ومن الشعراء على حد سواء. إن مصادر القرن الرابع تؤكد أنّ هذا المصطلح ظهر في القرن الرابع ومابعده. حيث تابع ابن الندم (ت ٣٨٥ هـ)

ابن حاجب النعمان (ت ٣٥١ هـ)، ثم انبرى المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) ليرجم في كتابه «معجم الشعراء» لعدد كبير منهم، وينقدهم في كتابه «الموشح». (العلاق، ١٩٧٥: ٥١) و في القرن الخامس عقد ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) في «العمدة» باباً خاصاً بـ «أشعار الكتاب»، وتناولهم فيه حين قال في عمدته وهو ينقل قول الجاحظ: «طلبتُ علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يجسن إلا غريبه... فلم أظفر بما أردتُ إلا عند أدباء الكتاب... كالحسن بن وهب و محمد بن عبد الملك الزيات...». ثم يتابع قوله: «و الكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً و أقلهم تصنعاً، وأحلامهم لفظاً و أطفهم معاني وأقدرهم على تصرف و أبعدهم عن تكلف... وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في أحكام صنعة الشعر، لرغبة الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها، وقلة الكلفة والإتيان بها يخف على النفس منها، وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفاً لاعتن رغبة ولا رهبة، فهم مطلقون مُخلّون في شهواتهم، مساحون في مذهبهم، إذ كانوا إنما يصنعون الشعر تخيراً واستطرافاً. كما قال كشاجم:

و لئن شَعَرْتُ فما تَعَمَّدْتُ الهجاءَ و لالمديجة

لكن رأيتُ الشعرَ للآدابِ ترجمةً فصيحة

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء والأمراء، والمترفين، من أهل الأقدار، لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعر صناعته والمديح بضاعته» (القيرواني، ١٩٨١: ١: ١١٠).

هناك اسئلة تطرح نفسها في هذا المضماروهي: لماذا أكد النقاد والدارسون على أشعار هذه الطبقة؟ او لم هذا التمجيد والتحسين؟ وهل يعطينا شعرهم صورة من صور بيئتهم؟ أجاءت أغراضهم الشعرية على نسق أغراض عصرهم، وهل تميز شعرهم عن الشعراء الآخرين؟ ربما كان الجواب عن الاول يرجع إلى المزج بين خاصيتين من خصائص الأدب وهما إجادة فن الكتابة و إجادة فن الشعر. الجواب عن الثاني فالنّ الكتاب الشعراء كانوا يتفاعلون مع بيئاتهم

قبل دراسة هذه الاتجاهات خاصة ما يمت إلى هذه المقالة بصلة وهو الاتجاه الموضوعي لا بد أن نجيب عن سؤال ربما يجول في خاطر القارئ وهو هل كان لهم اتجاه سياسي في شعرهم باعتبارهم كانوا رجال سياسة أم لا؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول:

من غريب الأمر أن شعرهم لا يصور لنا مواقفهم السياسية رغم أنهم كانوا من رجال السياسة. فكان لابن العميد والصاحب بن عباد أثر كبير في الحكومة ورسائلهما الثرية تدل على ما كان لديهما من مقدرة بلاغية في التعبير عن هذه المواقف. والغريب هو أن لا نجد في شعر ابن العميد رأياً في السياسة وهو واضح سياسة الملك كما يقول الزركلي. (١٩٨٤: ٦: ٦٨) كما أن الصاحب بن عباد كان مديراً لسياسة بني بويه ورسائله السياسية تُعدّ دستوراً شاملاً ذا قيمة سياسية وحرية كبيرة (الصاحب بن عباد، ١٣٦٦: ٣ - ٥٧) والمصادر التاريخية تدلنا على مواقفه الحربية ومشاركته في معارك عديدة وقد فتح خمسين قلعة وسلمها للأمير البويهبي فخر الدولة (ياقوت الحموي، ١٩٦٣ م: ٦: ٢٥١). في حين أننا لا نجد للسياسة أثراً في أشعاره. ثم ان كشاحم الكاتب الشاعر في بلاط سيف الدولة قد شهد حروب سيف الدولة ولم يشر إليها كما اشار معاصره المتنبّي. إن هناك عوامل ومؤثرات في عدم إهتمامهم بالشعر السياسي، أهمها فيمايلي:

الف: إنهم رأوا أن الشعر يناسب الهزل و الكتابة تناسب الجد. فاجتهدوا في ان لا يخلطوا في حياتهم بين الجد والهزل كما لم يخلطوا بينهما في أدبهم وجعلوا الكتابة للأمور الجادة والشعر للأمور اللاهية.

ب: إنهم كانوا يفتخرون بمكانتهم السياسية والإجتماعية وبكتابتهم الثرية. ولكي يميزوا أنفسهم عن الشعراء الآخرين مالوا إلى عدم معالجة هذه الموضوعات الشعرية.

ج: إن الشعراء لم يكن لديهم أداة للتعبير غير الشعر بخلاف الكتّاب الشعراء، فإنهم كانوا يملكون الأدوات معاً، وخصصوا

تفاعلاً قوياً ومميزاً، وهو أمر قلّمنا نجده عند غيرهم من الشعراء، فقد كانوا رجال الحكم و السياسة و الحرب وكتاب الدواوين الرسميين، كما كانوا رجال الفكر و العلم و الثقافة والأدب.

إذا أراد الباحث مقارنة شعرهم في ضوء الأغراض الشعرية بالأغراض المألوفة لدى شعراء عصرهم يجد أنهم قد عاجلوا في شعرهم موضوعات غريبة عن موضوعات الشعر العربي المعروفة، أي أنهم عاجلوا موضوعات كانت خاصةً بالشر وحده، مثال ذلك، الإخوانيات التي تحتل صفحات كثيرة في شعرهم، إنهم ابدعوا هذا النوع من الغرض الشعري بحيث اعتبر فنهم الخاص الذي تفتح وأثمر على أيديهم بسبب تأثرهم بالصنعة الكتابية، وهي صورة من تداخل فن النثر مع الشعر، فإن موضوع الإخوانيات كان من موضوعات النثر خاصة فكانوا يوجهون رسائلهم إلى الأصدقاء والأمرء والوزراء والعمال والقضاة والتلاميذ وغيرهم في مناسبات وأغراض مختلفة كالمهاداة، والتهنئة والإستعطاف والعتاب، والشكر والاعتذار... ثم أصبحوا يتبادلون هذه المعاني شعراً.

ولا نكاد نغلو إذا قلنا إن موضوع شعر الكتاب الشعراء كان في المجالات العامة وفقد تناول شعرهم كل معالم الحياة الحضارية المادية والمعنوية الجديدة، ولم يقتصر على أغراض الشعر المحددة المعروفة، بينما نجد الشعراء في عصرهم كانوا يلتزمون بالشعر و تقاليده الموروثة.

إن الأغراض عندهم تتداخل تداخلاً شديداً بحيث يصعب على الباحث أن يحددها تحديداً. إذ نقلوا في شعرهم كل ما حال بخواطرهم في حياتهم، و بدؤوا يعبرون عما يشاؤون دون مراعاة للحدود المعروفة لأغراض الشعر في عصرهم بالضبط كما كان الأمر في كتاباتهم، ومن هنا يستعصي على الدارس تقسيم شعرهم على أساس الموضوعات التقليدية، فالأفضل إذن تقسيم شعرهم حسب اهتماماتهم واتجاهاتهم. من اتجاهاتهم الشعرية هو، الاتجاه الديني، والاتجاه الاجتماعي، والاتجاه الموضوعي والاتجاه الفني.

الكتابة للأمور السياسية و للأمور الجادة والشعر للأمور اللاهية.

د: إهم كانوا يفرقون بين الموضوعات التي يطرقها الشاعر و الكاتب اي كانوا يجعلون حدوداً للشعر كما كانوا يجعلون حدوداً للنثر. يقول الصابي: «الفرق بين المترسلين و الشعراء أن الشعراء إنما أغراضهم التي يرمون إليها وصف الديار والآثار، والحنين إلى الأهواء والأوطار، والتشبيب بالنساء، والطلب و الإحتداء، والمديح والمجاء، وأما المترسلون فإتّما يترسلون في أمر سداد ثغر، و إصلاح فساد، أو تحريض على جهاد، أو إحتجاج على فئة، أو مجادلة لمسألة، أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة، أو تهنئة بعطية، أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك». (إبن الأثير، ١٩٨٣: ٣: ٣٤٠)، وواضح أن الصابي أخرج موضوع السياسة عن حقل الشعر، وحدد موضوعات الشعر و النثر.

كان الثعالبي معاصراً لهؤلاء الكتاب الشعراء وكان يعيش معهم وفي بيئتهم، وقد صور لنا مكانة الكتاب في القرن الرابع؛ يقول: «ولا تزال طبقة الكتاب مرتفعة عن طبقات الشعراء فإن الكتاب، وهم ألسنة الملوك، إتّما يتراسلون في جباية خراج أو سد ثغر أو عمارة بلاد أو إصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو دعاء إلى ألفة أو النهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية في رزية أو ما شاكلها من جلائل الخطوب و معازم الشؤون». (الثعالبي، ١٣١٧ هـ: ٣). إن نظرة عابرة إلى هذين النصين في القرن الرابع تظهر لنا بوضوح أن الكتاب الشعراء كانوا ملتزمين بهذا المفهوم في عصرهم.

لكي تكون دراسة الموضوع مثمرة يجب علينا اختيار شعر واحد من الكتاب الشعراء ودراسة اتجاهات وخصائص شعرهم في أشعاره، ولهذا اخترت الصابي (ت ٣٨٤ هـ) وهو كاتب لديوان الرسائل فقد كان يقوم بكتابة العهود والتعيين للولاة والأمراء الصادرة من الخليفة والمراسلات السياسية.

نبذة من حياة الصابي

وُلد أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني ببغداد سنة ٣١٣ هـ. (إبن خلكان، ١٩٦٨: ١: ٢٣١) و قد نشأ وتلقى تعليمه الأول، و قد ورد أنه لقب بالصابي لتشدده في دين الصابئة. (السابق: ١: ٥٤) يصفه إبن النديم، فيقول: «إتّاه مترسل بليغ، شاعر، عالم بالهندسة، و الغالب عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر». (١٩٧١: ١٤٩)، و قد نصّ ياقوت على أنه: «كان بينه و بين الصاحب بن عبّاد مراسلات ومتاحفات وكذلك بينه و بين الشريف الرضي إبن الحسين الموسوي، مودة و مكاتبات... مع اختلاف الملل و تباين النحل و إتّما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين و النسب». (١٩٦٣: ٢: ٢٣)

وكذلك كان بينه وبين أبي الفرج البغاء علاقات ودية و مراسلات و مكاتبات و مساجلات شعرية لطيفه، كما كان بينه و بين المتنبّي عتاقات ودية و مكاتبات. (السابق: ٢: ٦٨) مما يكشف للدارس عن مواهبه الكتابية و مستواه الثقافي الرفيع الذي إنتظم فيه مع كبار أدباء عصره. يقول شوقي ضيف: «كان مثقفاً ثقافة واسعة بالغة، والشعر، قديمه وحديثه، وإستطاع أن يحقق لنفسه قدرة بيانية جعلته يرتفع على أقرانه من المسلمين إلى رئاسة ديوان الرسائل و لعل ما يدل على قدرته تلك في هذا الجانب أننا نرى كبار الأدباء في عصره يعظّمونه و يجلّونه». (٢٨١) و يجعله آدام متر من أكبر المنشئين في النصف الثاني من القرن الرابع (١٣٧٧: ٢٧٤).

نشأ الصابي في البيئة الفكرية في بغداد واقتبس من زادها العلمي، وتغذى من غذائها الفكري، فحفظ القرآن حفظاً جيداً أدى إلى تهذيب قلمه حتى أصبح كاتباً بليغاً وعلماً من أعلام البلاغة في عصره، وشاعراً وناقداً بارعاً ومؤلفاً قديراً، وهو صابي. (الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٤١)، فطار صيته في الآفاق و وُصف بالإمامة لكتاب عصره حتى قال فيه ياقوت: «... فأما بلاغته، و حسن ألفاظه فقد أغنتنا شهرتها عن صفتها، و ذكرها الشعراء فقال بعضهم:

«من الخير ان نشير إلى أن الرضي صور في تلك القصيدة جانبيين من أهم الجوانب في بكاء مثل ذلك الفقيده: الأول حزنه لفقده، و الثاني نكبة الأدب في ذلك القلم البليغ» (زكي مبارك، ١٩٧٥: ٢: ٣٥٥)

الشكوى

إنها قديمة في الشعر العربي ولكنها لم تملك القدرة على التشكل في غرض قائم بنفسه، ولم تستقم غرضاً واسعاً مستقلاً إلا في العصر العباسي في القرن الثالث خاصة. فكما قضت عوامل التطور والتجديد التي إستطالت في هذه الحقبة بنشوء أغراض جديدة كالشعر التعليمي، وشعر الجون، فإنها قضت بنشوء الشكوى غرضاً جديداً يستقطب هموم العصر، أناسه و أدباءه. (العلاق، ١٩٧٥: ٩١)

كان لحياة الكتّاب الشعراء وما عانوه فيها من حبس ومصادرة أموال وعزل اعظم الأثر في ظهور هذا الغرض في أشعارهم، إذ نجد في أشعارهم الشكوى بانواعها: الشكوى من الزمن، الشكوى من الأمراض و الشكوى من جفاء الإخوان.

إنّ الشكوى من الزمن في شعر الكتّاب الشعراء، كانت أثراً من آثار حياة البؤس والفاقة التي عاشها عددٌ منهم بسبب ما أصابهم من محن وعزل ومصادرة أموال. كثرت الشكوى من الزمن في شعر الكتّاب «حين أرادوا أن يعبروا عن آلامهم وأشجانهم، ويفصحوا عن سخطهم على بواعثها وأسبابها، ولم يستطيعوا أن يكونوا صرحاء في مواجهة الظالمين و الطغاة لظلمهم و طغيانهم و... و تجاهلوا عن المصدر الحقيقي وكفّوا عنه بالزمان أو الدهر أو الدنيا أو نحو ذلك من الألفاظ». (غناوي الزهري، ١٩٤٩: ٢٤٣) يكثر الصايء من الشكوى من الزمن، بحيث عقد له الثعالي في يتيمة فصلاً خاصاً بالشكوى. (١٩٧٣: ٢: ٢٩١) يشكو الصايء من الزمن، كأنّ مواجهة الدهر عنده أهون من مواجهة الحكام:

كأنّ الدهر من صبري مغيظٌ

فليس تعبني منه الخطوبُ

أصبحتُ مُشتاقاً حليفَ صَبَابَةٍ

برسائل الصَّابِيءِ أَبِي إِسْحَاقَ

صوبُ البلاغَةِ والحلاوةِ والحجَى

ذوبُ البراعةِ سلوةِ العُشَّاقِ

طوراً كمارقِ النسيمِ و تارةً

يحكي لنا الأطواقَ في الاعناقِ

لا يبلغُ اللبغاؤُ شأوَ مُبرِّزِ

كُتِبَتْ بدائِعُه على الأحداقِ

(١٩٦٣: ٢: ٢٧)

أما آثاره فابن ندیم يذكر لنا أن له ديوان رسائل وكتاب (دولة بني بويه) و (أخبار الديلم) و (التاجي) و (أخبار أهله وولد أبيه)، وله ديوان شعر، وكتاب مراسلات الشريف الرضي (١٩٧١: ١٤٩).

امتاز الصايء، بين معاصريه من الكتّاب برقة شعره وعذوبته، ويكاد يبرم على أنه شاعر فحل، لأن النثر الفني الذي أغرم به معاصروه هو نثر شعري لا يختلف عن الشعر إلا في الوزن وفي بعض الأغراض (زكي مبارك، ١٩٧٥: ٢: ٣٥٩). يصفه بدیع الزمان بقوله في المقامة الجاحظية: «من لم يقصر نظمه عن نثره، و لم يزر كلامه بشعره». (بدیع الزمان، ١٩٥٦: ٧٣).

توفي الصايء سنة ٣٨٤ هـ (ابن خلکان، ١٩٦٨: ٢: ٥٣)، وقد رثاه الشريف الرضي بقصيدة طويلة بلغت إثنين وثمانين بيتاً تعد من روائع شعره وعوتب عليها واستكثر عليه وهو نقيب العلويين أن يبكي صابئياً فأجاب: إنما بكيته لفضله (السابق: ٢: ٥٤). «أي فضل هذا الذي ينسى الشريف الرضي منزلته الدينية و الإجتماعية؟ إنه فضل ذلك الرجل المهذب الذي رأى من حسن العشرة أن يصوم رمضان و يحفظ القرآن (زكي مبارك: ١٩٧٥: ٢: ٣٥٦). يقول لفقده:

فقدت ملاءمة الشكول لفقده

و بقيتُ بين تبأين الأضدادِ

(الشريف الرضي، ١٣٠٧ هـ: ١: ٢٩٤)

نزلتُ إليها عن سراة حصان فقد
بحكم مشيبي أو فراش حصان سبيلاً
حملتُ مني ابن تسعين سالكاً كما
عليها يسلكُ الثقلان
حملَ المهذُ الصبيّ و قبلها
ذعرتُ ليوث الغيل بالتزوان
ولي بعدها أخرى تُسمّى جنازةً تسير

جنيبة يومٍ للمنية داني ديار
(السابق: ٢: ٢٩٩)

يصور الصابيء في هذه الأبيات حاله بعد التسعين وكيف
تبدلت به الحال من سراة حصان إلى المحفة كالصبي، وهو
منتظر أن يحمل إلى القبر وتشيع جنازته لأنه متوقع دنو أحله.
ربما يرجع السبب في هذه الشكوى من الأمراض والشيخوخة
إلى شدة تعلقه بالحياة وإنغماسه في ملذاتها التي لا تدوم لأحد.
وكلما قلّت هذه الملمات صعبت الحياة عليه وكانت الشكوى
تعبيراً عن رغبته فيها.

الجديد في شعر الشكوى عند الكتاب الشعراء عامة و الصابيء
خاصة هو أن تلازم حرفة الأدب والسياسة أعطى مصطلح
الكتاب مدلولاً واسعاً وأن الكتاب الشعراء اللذين تخلو كتاباتهم
من دلالة سياسية و يهتمون بالأدب كان تعرضهم للمحن أقل من
غيرهم و لهذا نرى الصابيء متعجباً بقاءه على ماله و حرفته معاً
ومؤملاً أن تغفل حرفة الأدب لكي يعيش في الراحة، حيث يقول:

قد كنتُ أعجبُ من مالي وكثرتِه
وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
حتى أنشئت و هي كالعصبي تلاحظني
شزراً فلم تبسق لي شيئاً من النَّشَبِ
فاستيقنتُ أنّها كانت على غلظ
فاستدركتُه و أفضت بي إلى الحربِ
الضبُّ و النونُ قد يُرجى التقاؤهما
و ليس التقاء اللبِّ والذهبِ
(السابق، ٢: ٢٩١)

يحاوُلُ أن تلين له قناتي
و يأتي ذلك العودُ الصليبُ
و اعتنقُ العظيمة إن عرتني
كأن قد زارني منها حبيبُ
و بين حوارحي قلبُ كريمٍ
تعجّبُ من تماسكه القلوب
تلوح نواحذي و الكأس شري
و أشربها كأني مُستطيبُ
سأثبتُ إن يصادمني زماني

بركنيه كما ثبت النجيبُ
و أرقبُ ما تجيء به الليالي
ففي أثنائه الفرجُ القريبُ
(السابق: ٢: ٢٩١)
كأن الصابيء هنا يرمز بالدهر إلى السلطة وأن صراعه مع
هذه السلطة لامع الدهر. يقول شاكياً الدهر:

قاسيت من دهري سفيها
ما إن رايتُ له شبيها
ثبتت نصالُ سهامه
في ثغرةٍ لي تنتحيها
فكأني أستقبلته
بمقاتلي إذ أتقيها
(السابق: ٢: ٢٩٢)

من معاني الشكوى التي ضمنها هؤلاء الكتاب أشعارهم،
الشكوى من الكبر و المرض، وهي شكوى لم يختلف فيها
واحد منهم عن الآخر، للصابيء قصائد كثيرة في هذا الموضوع
فكان يكتاب الشريف الرضي مكاتبات شعرية يشكو إليه فيها
زمانه و تقدم العمر به، يقول فيها:
إذا ما تعدت بي و سارت محفةً
لها أرجل يسعي بها رجالانِ
و ما كنتُ من فرسانها غير أنها
وفت لي لما خانت القدمانِ

ذات نشْرٍ كنسيمِ الرو

ض غبّ القطر فاحا

يا غلامي ما أرى فيـ

سها و لا فيك جناحا

حَرِّمِ المَاءَ و أبعِدْ

ه و إن كان مباحا

أُقْرَاحُ أَنَا حَتَّى

أشربُ المَاءَ القَرَا حَا

(السابق: ٢ : ٢٦٠)

فهو لا يجد في شربها جناحاً بل يسخر من شرب الماء القراح، و السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: هل دين الصائبة يجرم الخمرة أم لا؟ بالرجوع إلى «الملل و النحل» يتبين أن دين الصائبة يرى أن أفضل ما في الإنسان من الخير هو العقل والخمرة تغتال العقل و تدفع الإنسان إلى الشر والشر في مبادئهم من عمل الشيطان (الشهرستاني: ٣٠٠ و ٣٠١).

الغزل

نجد في أشعاره انواعاً مختلفة من الغزل التقليدي، والغزل الحسي الصريح والعفيف والغزل بالمرأة وبالغلمان والا أن الغزل التقليدي (النسيب) قليل بالنسبة الى مجموع شعره. يقول الصابي في احدى الجوارى:

إلى الله أشكو ما لقيتُ من الهوى إذا

بجارية أمسى بها القلبُ يلهج

إمتزجتْ أنفاسنا بالتزامنا كأني

توهمتُ أن الروحَ بالروح تُمزج

و قد قبلتها بعد هَجَعَةٍ أضفتُ

و وَجدي ما بين الجوانح يلعب

إلى النفس التي بين أضلعي

بأنفاسها نفساً إلى الصدر تُولج

فإن قيل لي إختَرَ أما شئتُ منهما

فإني إلى النفس الجديدة أحوج

(السابق: ٢ : ٢٥٧)

مما يجدر ذكره هنا أن شعر الشكوى عنده غالباً يهدف إلى الإخبار وليس له إلا الوضوح والتقرير. وهذا ما يفقده كثيراً من خصائصه الجمالية التي ترقى به إلى صعيد الشعر. والشاعر يركز على المعاني والأفكار دون الألفاظ والصور إذ نرى في هذه القصيدة ألفاظها سهلة ميسورة والصور بسيطة تعتمد على التشبيه أحياناً.

المجون

الكتاب الشعراء - كابناء عصرهم المترفين - قد توافرت لهم أسباب المجون ودواعيه؛ فاندفعوا فيه وعكسه شعرهم، مصوراً الجانب اللاهني من حياتهم. مفصلاً عن شخصياتهم. فاللهو والتسلية عند الصابيين مع الخمر سيلان لإزالة الهموم؛ فيقول:

رُبَّ عذراء راوحتني من الرا

ح بعذراء تطرد الهمَّ طردا

خندريس إذا المزاجُ علاها

نظمت بالحباب للكأس عقدا

ترك البال ناعماً و أخال الشجـ

و خلياً و طائر اللهو سعدا

(السابق: ٢ : ٢٦١)

يردد هذا المعنى كثيراً في شعره و يستهل به بعض أشعاره الالهية:

ألاقي هُمومي في حَحْفَلٍ

لها من مُقامي فيه قرارُ

(السابق: ٢ : ٢٦٠)

كما كان اللهو عنده هروباً من همومه و آلامه؛ كانت الخمرة كذلك فالخمرة كانت تُنسيه تلك الهموم، فينغمس في عالمها قائلاً:

كوكب الإصباح لاحا

طالعاً و الديكُ صاحا

فاسقنيها قهوةً تأ

سو من الهمِّ جراحا

و من العجيب أنه رغم علو مكانته لم يكن ينجل من مثل هذا الغزل، إذ نجده يعلن عن لذاته و خلاعته دون إحشام، ويذكر عبثه دون خفاء، يدور غزله بمعان والفاظ ماجنة مكشوفة. ومن الغريب أنه رغم رئاسته ديوان الإنشاء للخليفة كان يتغزل بالغلما، كان متعلقاً بغلام أسود اللون يتردد اسمه في عدة قصائد يلهج فيها بحبه؛ منها قوله يخاطبه:

لَكَ وَجْهٌ كَانَ يَمْنَاكَ حَطَّتْ

ه بلفظ تُمَلِّهَ آمَالِي

فيه معنى من البذور و لكن

نَعَصَّتْ صَبْغَهَا عَلَيْهِ اللَّيَالِي

لم يشنك السواد بل زدت حسناً

إنما يلبس السواد الموالِي

فيما لي أفديك إن لم تكن لي

و بروحي أفديك إن كنت مالي

(السابق: ٢ : ٢٦٦)

و من ذلك قوله:

ما أنس لا أنس ليلة الأحد

و البدر ضيفي و أمره بيدي

قبِلْتُ منه فما مُجَاجِته

تجمع بين المدام و الشهد

كأن مَجْرَى سِوَاكِهِ بَرْدٌ

و رِيْقُهُ ذُوبُ ذَلِكَ الْبَرْدِ

(السابق: ٢ : ٢٥٨)

الهجاء

إنه من الأغراض المتجددة عند الكتاب الشعراء ، فقد تطور في مقاصده و أساليبه و لغته و صورته، «خضوعاً للعوامل المختلفة التي أثرت في تطور المجتمع نفسه، و إختلاف معايير و قيمه» (هداره، ١٩٦٣ : ٤٣٦). واستجابةً لمتطلبات البيئة الفكرية للكتاب الشعراء للمكانة المتميزة التي كانوا يتبوؤونها في المجتمع

العباسي. (العلاق، ١٩٧٥ : ٣٤٥) فالصائبي يسخر من محتته؛ و يقول:

...أخرج من نكبةٍ و أدخل في

أخرى فنحسي بهن متّصل

كأنها سنةٌ مؤكّدة

لأبد من أن تقيمها الدول.

(السابق: ٢ : ٢٩٢)

بهذه الروح الساخرة يعبر عن تلاحق محنه ولا يتعرض

لاسبابها؛ من صورهم الساخرة وصفه لجاهل يلبس عمامة:

يا مَنْ تَعَمَّمَ فَوْقَ رَأْسِ فَارِغٍ

بعمامةٍ مَرَوِيَةٍ بِيضَاءِ

حَسُنْتَ وَ قُبِحَ كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَهَا

فكأنها نورٌ على ظلماء

لما بدا فيها أطلت تعجبي

من شرّ شيءٍ في أجلّ إناء

لو أنّي مُكِّنْتُ مما أشتهي

وأرى من الشهوات و الآراء

لجعلت موضعها الثرى و جعلتها

في رأس حُرٍّ من ذوي العلياء

(السابق: ٢ : ٢٨٥)

للصائبي صور ساخرة الفاظها دنيّة ساقطة. (السابق:

٢ : ٢٨٤-٢٨٨) هجاؤه السياسي و الاجتماعي لم يخرج عن

بجال السخرية بالرغم من الفساد السياسي و الإداري الذي كان

شائعاً في عصره ، خوفاً على نفسه، أما هجاؤه الشخصي فقد

أخذ جانب الهزل وهو أقرب إلى المداعبة منه إلى الإيلام

وكشف العيوب و إن كان خالياً عن النقد اللاذع، ولعل سمو

مكانته و ثقافته منعه عن النطق بعيوب الآخرين.

الرياء

لم يرث الكتاب الشعراء الاشخاص أو من فقدوا من

الأشخاص فقط وإنما رثوا أشياء لم يكن يلتفت إليها شعر

أرى أحويكَ الباقيين كليهما إذا
يكونان للأحزان أروى من الرُند^١
لعبا في مَلْعَبٍ لَكَ لَدَعَا
فَوَادِي، بمثل النار عن غير ما قَصِد
فما فيهما لي سَلْوَةٌ، بل حرارةٌ
يَهيجانها دوبي، و أشقى بها وحدي
(١٩٧٣: ٢: ٦٢٥)

اليتيم عنده غربة و وحشه إذ يقول:
أَسْرَةٌ المرءِ والداه و فيما
بين حُضْنَيْهِمَا الحياة تطيب
فإذا ما طواهما الموتُ عنه
فهو في الناس أجنبيّ غريب
(الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٦٩)

الحكمة

الكتاب الشعراء كانوا ممن نالوا حظاً وافراً من الثقافة والعلم.
وكان كلُّ منهم يدعو الانسان إلى التأمل والنظر في الأمور.
فمن الطبيعي أن نجد بين أشعارهم اشعاراً دالةً على التأمل في
الحياة والحكم والامثال. إذ هي خلاصة تجاربهم، فابن العميد
الذي صارت كلماته القصيرة جارية مجرى الأمثال، كان شعره
ايضاً لا يخلو منها؛ إذ يقول:

و للرأي زلّاتٌ يظُلُّ بها الفتى
مُرْكَبَةٌ فوقَ الثنايا أنامله
(السابق: ٣: ١٨٠)

الصاحب بن عباد يدعو إلى حفظ السرّ: فيقول:

احفظ السرّ وارعه

إنّ إظهاره خطر

لا تدعه و إن وثق

ست لمن يكتّم الخبر

الرثاء فيما سبق كرتاء كشاحم فهو يرثي عوداً لمغنية انكسر،
(١٩٧٠، ٤٥٦) ومندياً لسرق منه (٨٦) وقدحاً انكسر
له؛ مطلعها:

عراني الزمانُ بأحداثه

فبعضُ أطقْتُ و بعضُ فدَح

و عندي فجائعٌ للنائبات

و لا كفجاعتنا بالقدح...

(١٣٠-١٣٢)

للصايء مرات في ولده سنان التي تمتلىء بعاطفة الأبوة؛
يقول فيها:

أسعداني بالدمعة الحمراء

جُلَّ ما حلَّ بي عن البيضاء

يؤلم القلب كلَّ فقدٍ و لا مث

ل إفتقاد الآباءِ للأبناء...

... كنت في اليتيم فيّ أجمل مني

فيك الثكل في أو ان فنائي

و لئن كان في أخيك و أو لا

دكما ما يُعْضُ من بُرحائي

فلعمري لربما هيجوا الشو

ق فزادوا في لوعتي و بكائي

(الثعالبي، ١٩٧٣: ٢: ٢٧٠)

يبدو أنه قد جرّب اليتيم و الثكل و وجد أن اليتيم أحف من
الثكل على النفس. فلا نجد معنى جديداً في رثاءه إلا أنه
يذكرنا في البيتين الأخيرين برثاء ابن الرومي في قصيدته
المشهورّة التي يرثي فيها ابنه والتي مطلعها:

بكاءٌ كما يشفي و ان كان لأبيحدي

فجودا فقد أودى نظير كما عندي

و تأثره بهذه القصيدة بارز حين يقول إن إخوته و أولاده

لا يُخَفِّفُون لوعته بل يزيدون حزنه كما نجد ذلك عند ابن

الرومي:

١. أوري: أكثر إيقاداً و إشعالاً، الزند: حديده من فولاذ تضرب بحجر صوان فيتقدح النار.

فقدماً روى لنا

عن ذوي العلم بالأثر

إحفظ السرّ مثلما

يُحفظ السمعُ والبصرُ

(٢٠١، ١٠٨)

أما الصابي فكثر حكمه ونصائحه تدور حول القضاء الذي يدرك الإنسان سواء تحفظ منه أم لا، ومما لا شك فيه أنها نتيجة تعامله مع هذه الحياة التي كانت بين النعيم والجحيم بسبب عزله و نصبه عدة مرات وهذه الحكم تعكس روح الصابي بشكل خاص وروح العصر بشكل عام، و تدل على فلسفته في الحياة.

ألا أيها الإنسانُ لا تكُ آيساً

من الدهر أن تصفُو عليك مشاربه

فإن له حتماً من الشرِّ واجباً

و حتماً من الخير الهني عواقبه

و إن تلقَ من حتميه ما كنتَ تبتغي

فأولى بك الحتمُ الذي أنت طالبه

ستكسبُ ما ترجو و لو كنتَ كارهاً

ككسبك ما تخشى و أنت مجانبه

(الثعالبي، ١٩٧٣ : ٢ : ٢٩٧-٢٩٨)

الفخر

ومن الجديد في شعر الكتاب الشعراء أن معاني الفخر إقتصرت على الفخر بمهنتهم أما المعاني المطروقة في الفخر فلا نجد فيها. صاحب بن عبّاد يزهو باشتغاله بهذه المهنة فيقول:

نالَ ابنُ عبّادٍ المنيَ كمالاً

إذ عدّه ابنُ العميد من خدمه

(٢٠١، ١٨٨)

أما الصابي فيفتخر بقوله:

قد علِمَ السلطانُ أنّي لسانُه

و كاتبُه الكافي السديدُ الموفقُ برأي

أزره فيما عرا و أمُدّه يُجدد

يُريه الشمسَ و الليلُ أغسق يفتح بي

بي نَحج الهدى و هو دارسٌ فيمناي

بابَ النهي و هو مُغلق

بمناه و لفظي لفظه

عيني له عين بما الدهر يرمق... يرضى

... يُسلّم لي قُس و سحبان وائلٍ

جرير مذهبي و الفرزدق

فيعضِي لثري خاطبٌ و هو مصقَعٌ

يعنو لنظمي شاعر و هو مفلق

معانٍ لـو الأعشى رَاهنٌ لم يَقل

«و باتَ على النارِ التدى و المُحلّق»

(الثعالبي، ١٩٧٣ : ٢ : ٢٧١)

تقتصر معاني الفخر عند الصابي على مقدرته الكتابية

وعلى عمله، فيقول مفتخراً بمقدرته:

... قلّدتُ ديوانَ الرسائلِ فانظروا

أعدّلتُ في لفظي عن التسديد...؟

... أنسيتمُ كتباً شحنتُ فصولها

بفصولٍ درّ عندكم منضود؟

و رسائلاً نفذت إلى أطرافكم

عبد الحميد بهنّ غير حميد؟

يهتزُّ سامعُهُنَّ من طربٍ كما

هزَّ الندمَ سماعُ ضربِ العودِ

(السابق: ٢ : ٢٤٣)

لقد تغيرت معاني الفخر عندهم، فلم يعد الشجاعة وحمل

السيف والفروسية تُذكر في فخرياتهم بل حلت محلها إجادة

البيان والبلاغة والسياسة، وصار القلم أداة السياسية بينما كان

السيف أداة الحرب، فكانت مقدرة الصابي هي الكتابة

١. تُشبُّ لمُقرورين يصطليانها و باتَ على النارِ التدى و المُحلّق

(الأعشى، ١٩٩٢ : ١٨٤). قال هذه القصيدة في مدح المحلق بن خنثم بن شداد بن

ربيعة .

المهلي واصفاً بيانه و بلاغته و لفظه و خطه و صفاً لا يمكن
صدوره الا من كاتب بارع متمرس. فيقول:

وَ إِذَا اسْتَنْطَقَ الْأَنَامِلَ جَادَتْ

ببيان كالجوهر المنضود

في سطور كأنما نشرت يُـمـ

سناه منها عصائباً من برود

فقرم يـزل فقيراً إليها

كلُّ مُبديء بلاغة و معيد

يُعندي البارُعُ المغيدُ لديها

لاحقاً بالمقصد المستفيد

بيان شافٍ و لفظ مصيب

و اختصار كافٍ و معنى سديد

(السابق: ٢: ٢٧٣)

يقول في جمال خطه :

و كم من يدٍ بيضاء حازت جمالها

يـدُّ لك لا تـسودُّ إلّا من النَّفسِ

إذا رَقَّشتُ بيضَ الصحائفِ خلقتها

تُطَرَّرُ بالظُّلْماءِ أرديةَ الشمسِ

(السابق: ٢: ٢٧٣)

يشيع في أشعارهم وصف يبتهم الكتابية، كوصف
المكاتب، والأدوات المكتبية ووصف جمال الخط، والعلاقات
بين الكتاب ومدح بعضهم بعضاً وهجاء كتاب الدواوين،
وغير ذلك.... يصف الصابي أدوات الفلك وقد أهدى إلى
عضد الدولة أسطراباً:

أهدى إليك بنو الآمال و احتفلوا في

مهرجان جديد أنت مُبلية

لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى

علو قدرك عن شيء يدانيه

لم يرضَ بالأرض مهداةً إليك فقد

أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

ويذهب في بعض أشعاره إلى تفضيل السياسة على الحرب،
فيقول:

و لي فقرٌ تُضحى الملوك فقيرة

إليها لدى أحداثها حين تطرق

أردُّ بها رأس الجموح فينثني

و أجعلها سوطَ الحرون فيعنتق

فإن حاولتُ لطفاً فمَاءٌ مُروِّقٌ

و أن حاولتُ عُنفاً فنارٌ تَألُّقٌ

(الثعالي، ١٩٧٣، ٢: ٢٧١)

أشعارهم دالة على الفخر و الاعتزاز بعملهم مما يدل على
رضى كامل عنه. الصابي يجعل العمل كسباً للرزق الذي
يسعى له سعى الليوث فيقول:

...فما كنتُ كالقِسطارِ يُثري بكيسه

و يُملِّقُ إن أنحى على الكيس سألبيه

ولكن كليث الغاب إن رام ثروة

حوثها له أنيابه و مخالبه

كذلك مثلي إن غاض ما ملكت يدي

في فضل جاهي أن تفيض مذهبه

إذا كان مالي من طريف و تالد

يدى فضلي فمُفنيه جالسبه

ولي بين أقلامي و لبي و منطقي

قلماً يشكو الخصاصة صاحبه

(السابق: ٢: ٢٧٢)

إنهم لا يطلبون العلى من غير كد بل يذهبون إلى أن طريق
العمل محفوف بالبلايا و المخاطر يقول الصابي:

و لأبدٌ للساعي إلى نيل غايته

من المجد من ساعٍ تدبُّ عقاربه

(السابق: ٢: ٢٧٢)

الوصف

مما أضاف الكتاب الشعراء إلى موضوع وصف الشعر العربي
هو وصف جمال الخط والاسلوب، فالصابي يمدح الوزير

يتحدث عن شؤون خاصة بالدولة التي يخدمها ويندر أن يتحدث عن نفسه. وفي الحق أننا لا نجد في أشعاره ما يقرب من الرسائل الإخوانية إلا بعض الأشعار التي نقلها الثعالبي في يتيمة في التهاني، منها ما كتبها مهنتاً المطهر بن عبد الله بالعيد:

عيدُ إليك بما تحبُّ يعود

بطوالع أوقاتهنَّ سعُودُ

مُتباركات كلِّ طالع ساعةٍ

يُوفي على ما قبله ويزيدُ

يأتيك من ثمر المني بغرائبٍ

معدومها لك حاصلٌ موجودُ

قضيت شهر الصوم بالنسك الذي

هو منك معروفٌ له معدومُ

أكثرت فيه من تجهدٍ خاشعٍ

ما يطمئنُ بمقلتيه هُجُودُ

فأشربُ و سَقَّ عصابةً قد مسَّها

عَطَشٌ و جُهدٌ في الصيام جَهيدُ

(السابق: ٢: ٢٩٥)

نتيجة البحث

إنَّ شعر الكتاب في القرن الرابع كان نسجاً خاصاً يتميز بملامح وسمات أدبية خاصة وإنَّ هؤلاء الشعراء ساروا مع حركات التجديد مع غيرهم من الشعراء. لعل وجود الشعراء الكبار في هذا القرن امثال: المتنبي، وابي فراس الحمداني، وابي العلاء المعري، والشريف الرضي وغيرهم جعل شعرهم في المكانة الثانية ولهذا لا يحظ شعرهم من النقاد ما يستحق من تقدير وقبول.

حاولت هذه المقالة معالجة موضوع شعرهم من خلال اشعار الصابيء، وخلصت الى النتائج التالية:

١. إن الأغراض عند الصابيء تتداخل تداخلاً شديداً بحيث يصعب تحديدها. إذ نقل في شعره كل ما حال بخاطره في حياته، وبدأ يعبر عما يشاء دون مراعاة للحدود المعروفة

أهديتُ مُحْتَفَلاً زيجاً جداوله

مثل المكايل يستوفي بما العمرُ

فقس به الفلك الدوار واجر كما

يجري بلا أجل يُحشَى و ينتظر

(السابق: ٢: ٢٧٩)

يلجأ الصابيء إلى دفاتره وأقلامه في محنته و يصفها مُنجدة

له:

ليس لي مُنجدٌ على ما أقاسي

من كروي سوي العليم و السميع و

دفتر مؤنسي و فكري سميري و

يدي خادمي و حلمي ضجعي و

لساني سيفي و بطشي قريضي

دواني غيثي و درجي ربيعي في

أعطاي شجاعةً أدعيها

القوافي لقلبي المصدوع

(السابق: ٢: ٢٩٢)

الإخوانيات

ان كتاب الرسائل في القرن الرابع يتناولون كتابة الرسائل بأنواعها الديوانية والإخوانية والعامية. تحولت الرسائل الإخوانية في هذا القرن على أيدي الكتاب الشعراء إلى مادة شعرية طريفة سميت بالإخوانيات و إذا استعرضنا أشعارهم نجد أن الإخوانيات صورة من تداخل فن الشعر و اقتباس أحدهما من الآخر بعض صفاته حيث صار موضوع شعر الإخوانيات نفس موضوعات الرسائل الإخوانية من شكر واعتذار وعتاب وتشوق وغيرها من الموضوعات. كان كتاب الرسائل الإخوانية غالباً ممن لم يتولوا مناصب رسمية في الدولة بل كانوا من عامة المنشغلين في الأدب وإن كان ذلك لم يمنع بعض الرسميين أن يكتبوا رسائل إخوانية كما هو الحال عند ابن العميد و صاحب بن عبّاد و قابوس بن وشمكير. أما الصابيء فكان كاتباً بديوان الرسائل ببغداد وكان في أكثر الأحيان

المصادر و المراجع

- [١] ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن أبي مكرم الشيباني. (١٩٨٣م)، *المثل السائر*، تحقيق: احمد الحوفي و بدوي طبانة، دارالرفاعي، الرياض.
- [٢] ابن خلكان، احمد بن محمد. (١٩٦٨م)، *وفيات الأعيان*، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- [٣] ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح. (١٩٧٣م)، *الديوان*، تحقيق: حسين نصار، دارالكتب، القاهرة.
- [٤] ابن النديم، محمد بن إسحاق. (١٩٧١م)، *الفهرست*، تحقيق: رضا تجدد، طهران.
- [٥] الإصفيهاني، أبو الفرج. (٢٠٠٠م)، *الأغانى*، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- [٦] الأعشى، ميمون بن القيس. (١٩٩٢ م .)، *الديوان*، شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجليل، بيروت.
- [٧] الثعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (١٣١٧هـ)، *نثر النظم و حل العقده*، المطبعة الأدبية، مصر.
- [٨] الثعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (١٩٧٣م)، *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- [٩] الزركلي، خير الدين. (١٩٨٤م)، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت.
- [١٠] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. *الملل و النحل*، تحقيق: عبدالعزيز الوكيل، الرياض.
- [١١] الصاحب بن عباد، إسماعيل بن العباس بن احمد بن إدريس الطالقاني. (٢٠٠١م)، *الديوان*، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- [١٢] الصاحب بن عباد، إسماعيل بن العباس بن احمد بن إدريس الطالقاني. (١٣٦٦هـ)، *رسائل الصاحب بن عباد*، جمع: عبد الوهاب عزام و شوقي ضيف، دار الفكر، القاهرة.

- لأغراض الشعر في عصره، كما كان الأمر في كتاباته. ولكنه لم يتطرق فيه إلى موضوعات الحياة السياسية.
٢. كان لحياته وما عاناه فيها من حبس ومصادرة أموال وعزل أعظم الأثر في ظهور الشكوى في أشعاره، إذ نجد لها في أشعاره بانواعها: الشكوى من الزمن، الشكوى من الأمراض والشكوى من جفاء الإخوان. يكثر الصابيء من شكوى الزمن، بحيث عقد له الثعالي في يتيمته فصلاً خاصاً بها.
 ٣. توفرت له أسباب المحون والخمرة و دواعيهما؛ فاندفع فيهما وعكس تجربته لهما بشعره، مصوراً الجانب اللاهي من حياته مفصلاً عن شخصيته ومعتبراً اللهو والخمر سبيلين إلى إزالة الهموم.
 ٤. تفنن في شعره الغزلي إذ أن حياته الخاصة جعلت شعره الغزلي يختلف عن شعر الآخرين، فنجد في أشعاره أنواعاً مختلفة من الغزل التقليدي، والغزل الحسي الصريح والعميق والغزل بالمرأة وبالغلمان وغيره إلا أن الغزل التقليدي (النسيب) قليل بالنسبة إلى مجموع شعره.
 ٥. هجاؤه شخصياً كان أو سياسياً أو اجتماعياً يكون حالياً من النقد اللاذع. والسبب يرجع إلى خوفه على نفسه.
 ٦. تدل اشعاره الحكمية على دقة نظره في الحياة وتعمقه فيها وتأمله في حوادثها حيث جرت مجرى الأمثال.
 ٧. تنحصر معاني الفخر عنده بمهمته فقط، حيث حلّ القلم أداة السياسة محل السيف أداة الحرب.
 ٨. من معاني الوصف الجديد التي أضافها إلى الشعر العربي وصف جمال الخط والاسلوب، ووصف بيئته الكتابية.
 ٩. بما أن نثر الصابيء في الأغلب موضوعي لأنه كان يكتب في الأمور الخاصة بالدولة التي كان يخدمها فلهذا إخوانياته لا ترقى مستوى إخوانيات الكتاب الشعراء في هذا القرن كالخوارزمي وابن العميد و الصاحب .

- [١٣] ضيف، شوقي. (١٩٦٥م)، *الفن و مذاهبه في النشر العربي*، دارالمعارف، مصر.
- [١٤] العلاق، حسين صبيح. (١٩٧٥م)، *الكتاب الشعراء في العراق في القرن الثالث الهجري*، ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت و دارالتربية ببغداد.
- [١٥] غناوي الزهري، محمود. (١٩٤٩م)، *الأدب في ظل بني بويه*، مطبعة الأمانة، القاهرة. ١٧.
- [١٦] القيرواني، ابن رشيق. (١٩٨١م)، *العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده*، ط ٥، دارالجيل، بيروت.
- [١٧] كردعلي، محمد. (١٩٤٨م)، *امراء البيان العربي*، ط ٢. لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة.
- [١٨] كشاجم، محمود بن الحسين. (١٩٧٠م)، *الديوان*، تحقيق: خيرية محفوظ، بغداد.
- [١٩] مبارك، زكي. *النشر الفني في القرن الرابع*، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- [٢٠] متر، آدم. (١٣٧٧م)، *تمدن اسلامي در قرن چهارم*، ترجمه: عليرضا ذكاوتي قراكلو، چاپ سوم، انتشارات اميركبير، تهران.
- [٢١] هدارة، محمد. *اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني*، ط ٢، دارالمعارف بمصر.
- [٢٢] الهمذاني، بديع الزمان. (١٩٥٦م)، *مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني*، ط ٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- [٢٣] الحموي، ياقوت أبوعبدالله. (١٩٦٣م)، *معجم الأدباء*، دارالمأمون. مصر.

موضوعات شعر نویسندگان در قرن چهارم بر اساس شعر صائبی

عبد الغنی ایروانی زاده، حسین کیانی^۲

تاریخ دریافت: ۱۳۸۵/۲/۳

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۵/۷/۴

شعر نویسندگان در قرن چهارم ویژگیها و خصایصی دارد که با ویژگیهای شعر قرن همخوانی دارد، اما شهرت نویسندگی این شاعران مانع از این شده است که آنان در میدان شعر ظهور بیشتری داشته باشند و در زمره شاعران درجه اول قرار گیرند.

این مقاله کنکاشی است در پدیده شعر نویسندگان که در عصر عباسی ظهور یافت و توانست هنر شاعری و نویسندگی را با هم جمع کند. در این مقاله برآنیم تا بر پایه شعر صائبی، شاعر نویسنده قرن چهارم، به بررسی مهمترین موضوعات شعری این گروه از شاعران بپردازیم.

واژگان کلیدی: شعر، نویسندگان، قرن چهارم، صائبی

۱. استادیار دانشگاه اصفهان

۲. دانشجوی دوره دکتری دانشگاه اصفهان